



الشيخ الطيب محمد خير الشَّعَال

التاريخ: 01/10/2010

سلسلة الأولويات

(أولوية العمل الدائم على المنقطع والمتعدي النفع على القاصر)

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله. أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره.

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأذكركم وإياي بطاعة الله فإنه لا نجاة للعبد في الآخرة إلا بطاعة الله تعالى في الدنيا وبرحمة الله فقدموا لأنفسكم.. إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومني عمل مثقال ذرة شرا يره.

ثم أستفتح بالذي هو خير، يقول الله تعالى في محكم التنزيل:

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا

الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرَّحْمَن: 7-9].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)) [مسلم]

يشير كلا الدليلين إلى أَنَّ للأمور الإيمانية والحياتية أوزاناً ومراتب، فبعض الأمور أوزنٌ من بعض، وبعضها أهم من بعض، وبعضها أفضل من بعض، ويقضي الشرع والحكمة والعقل تقديم الأهم على المهم، والفاضل على المفضول والأحسن على الحسن..

عنوان خطبة اليوم: ((فقه الأولويات))

نتابع عرض بعض المعالم في فقه الأولويات، وسبق الحديث عن معلمين اثنين:

المُعَلِّمُ الأوَّل: أولوية العلم على العمل.

المُعَلِّمُ الثَّانِي: أولوية الفرائض على السنن.

والمُعَلِّمُ الثَّالِث: أولوية العمل الدائم على العمل المتقطع.

إذا أردت أن تعمل عملاً فاختر عملاً دائماً، إذا خیرت بين أمرين أحدهما دائم

مستمر والثاني متقطع حيناً ومستمر حيناً فاختر الدائم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا

وَإِنْ قَلَّ)) [البخاري]

العمل الدائم وإن كان قليلاً أحسن من العمل المتقطع وإن كان كثيراً.

سُئِلَتْ عَائِشَةُ وَأُمُّ سَلَمَةَ: أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم؟ قالتا: ((مَا دِيمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ)) [الترمذي]

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا
وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: ((مَنْ هَذِهِ؟))، قَالَتْ: فُلَانَةُ -تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا-، قَالَ: ((مَهْ، عَلَيْكُمْ
بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمُوتُوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ))
[البخاري]

إذا أردت أن تعمل عملاً في الدِّين أو الدُّنيا فاختر عملاً تستطيع المداومة عليه.
أيُّها الإخوة:

هناك طريقتان لحفر الصُّخور: الأولى سريعة صاخبة، والثانية بطيئة هادئة.

أما الأولى فباستخدام ضاغط هواء ضخيم يسلط على سكين قاطعة قوية توجه إلى
الصَّخرة فتقسمها قسمين، وهذه الطَّريقة سريعة لكنها صاخبة.
أما الطَّريقة الثَّانية فباستخدام قطرة ماء تتساقط على صخرة بشكل متواتر
ومستمر، وبتكرار التَّساقط وتتاليه وتتابعه على مر السِّنِّين تحفر الصَّخرة، وهذه نتائجها
أحسن.

فالعمل الدَّائم وإن كان قليلاً يوقع أثراً كبيراً.

في العالم اليوم توجه يسمَّى التَّنمية المستدامة، والمراد بها الاستمرار في تنمية الأفراد
والأعمال علمياً وعملياً تنميةً دائمةً لا تنقطع حتى نهاية الحياة...

بعض الشُّباب يحصلون شهادةً علميةً، ثمَّ يتوقفون عن التَّحصيل العلمي، وهذا

مخالف لفقه الأولويات.

والبعض الآخر يعملون في معمل أو مكتب أو شركة ستة أشهر أو سبعة، ثمَّ ينتقلون إلى شركة جديدة لأشهر أربعة أو ستة، ثمَّ يتركون العمل ويجلسون في بيوتهم سنةً، ثمَّ يبحثون عن عمل جديد فيعملون به أشهراً ثمَّ يتركون العمل.

تجدهم بعد حين وقد مرَّت بهم السنين غير مؤهلين مهنيّاً لأيِّ مهنة أو حرفة من هذه الحرف والسبب أنَّهم ينقطعون عن العمل، يعمل ستة أشهر ثم يترك يعمل أربعة أشهر ثم يترك يعمل ثمانية أشهر ثم يترك.

يصير له من العمر ثلاثين سنة ولا يوجد أي مهنة قد أتقنها خلال هذه السنوات

الثلاثة.

العمل الدائم أفضل من العمل المنقطع.

وقديماً قال النَّاسُ: ساقيةٌ جاريةٌ خير من نهر منقطع، والقليل الدائم خير من الكثير

المنقطع.

المعلم الرابع: أولوية العمل المتعدي النَّفع على العمل القاصر النَّفع.

- اتفق العلماء على أن التَّفرغ للعلم أفضل من التَّفرغ للعبادة، لأنَّ العلم نفعه

متعدي، أمَّا العبادة نفعها قاصر.

فإذا اعتكفت في المحراب سنةً صليت وقرأت القرآن وذكرت فالذي ينتفع من هذا

الاعتكاف أنت وحدك وهذا قاصر عليك.

أمَّا إذا اعتكفت في مكتبة تطلب العلم فاعتكافك سينتج علماً ينتفع به النَّاسُ.

- قال العلماء: الزَّواج أفضل من التفرغ للعبادة، لأنَّ الزَّواج نفعه متعدي: تنفع زوجك، وتنفع نفسك، وتنجب أولاداً تنفعهم، أمَّا العبادة فنفعها قاصر.

- أيهما أفضل صدقة تنفقها على فقير أو جهاد في سبيل الله، بناء مسجد أو جهاد في سبيل الله.

الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال لأنَّ نفع المجاهد يشمل جميع النَّاس.

المبدأ العام أنَّ العمل الذي يتعدى نفعه للآخرين أحسن من العمل الذي يقتصر نفعه على صاحبه...

وكَلِّمَّا كان النَّفْعُ أَعْمُ كان العمل أفضل، ومن هنا كان جنس أعمال الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله لأنَّ نفع الجهاد يعم النَّاس جميعاً، قال الله تعالى:

﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا

وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

[التوبة: 20، 19].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِشَعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مَاءٍ عَذْبٍ، فَأَعْجَبَهُ لَطِيبُهُ، فَقَالَ: لَوْ اعْتَرَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشَّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: ((لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَفْضَلُ مِنْ

صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ: اغْزُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)) [الترمذي]

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

من هنا جاء تفضيل العلم، لأنَّ نفع العلم متعدٍ أمَّا نفع العبادة فمقصود على

صاحبه.

ومن هنا كان الإمام العادل أول السبعة الذي يظلمهم الله في ظله يوم القيامة.

وجاء في الحديث: (يوم من إمام عادل أفضل من عبادة سبعين سنة)

لأن نفع الإمام عام فمهما كنت عاملاً فقدم العمل صاحب النفع الأكبر النفع

المتعدي على العمل صاحب العمل القاصر.

● قال أبو نصر التمار: (إِنَّ رَجُلًا جَاءَ يودِّعُ بَشْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَقَالَ: قَدْ

عَزَمْتُ عَلَى حَجِّ النَّافِلَةِ أَفْتَأْمُرُنِي بِشَيْءٍ؟)

فَقَالَ لَهُ: كَمْ أَعَدَدْتَ لِلنَّفَقَةِ؟ قَالَ: أَلْفِي دِرْهَمٍ.

قال بشر: فَأَيُّ شَيْءٍ تَبْتَغِي بِحَجِّكَ؟ اشْتِيَاقًا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ أَوْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ؟

قال: ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ.

قال: فَإِنْ أَصَبْتَ مَرْضَاةَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْتَ فِي مَنْزِلِكَ وَتَنْفَقُ أَلْفِي دِرْهَمٍ أَتَفْعَلُ ذَلِكَ؟

قال: نعم.

قال: اذهب فأعطها عشرة أنفسٍ مديون يقضي دينه، وفقير يُلْمُ شعثه، ومعيّل يغني عياله، ومربي يتيم يُفرّحه، وإنّ قوي قلبك أن تعطيها واحداً فافعل فإنّ إدخالك الشُّرور على قلب المسلم وإغاثة اللّهُفان وكشف الضُّر وإعانة الضَّعيف أفضل من مائة حجّة بعد حجّة الإسلام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشَيْتَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا)) [الطبراني في المعجم الصغير]

العمل المتعدي أنفع وأحسن من العمل القاصر.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

أصبح لدى كل واحد منّا أربع من معالم فقه الأولويات:

المَعْلَمُ الأوّل: أولوية العلم على العمل.

المَعْلَمُ الثّاني: أولوية الفرائض على السنن.

المَعْلَمُ الثّالث: أولوية العمل الدّائم على المتقطع أو المنقطع.

المَعْلَمُ الرّابع: أولوية العمل المتعدي النّفع على القاصر.

والحمد لله ربّ العالمين

* * *